

كاظمة

« بقية ما نشر في العدد الماضي ،

« الفرزدق كويتي !! »

« الفرزدق كويتي ! ! »

نعم إنه كويتي قبل السكوتيين .

الفرزدق هام بن غالب بن صعصعة من مشاهير الشعراء وهو علم من أعلام الأدب العربي ، ويقال إن شعر الفرزدق حفظ ثلث اللغة العربية ، إذ لو لا شعره لضاع الشيء الكثير من اللغة . وقل من لم يقرأ منا للفرزدق شيء من الشعر قل أو أكثر ، وأمر مهاماته مع جرير — وكلاهما من تميم — مشهور . إذ دامت هذه المهاجة قرابة الأربعين عاما شغلت قصائد جميع أندية الأدب وحلقات دراسته في جميع البلاد العربية ، وكانت الركيان تحمل هذه القصائد إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية . والرواة تتهافت على رواية هذه القصائد ، واعتنى علماء اللغة العربية بها أيما اعتناء . فألفوا فيها الكتب المشهورة ، تلك الكتب التي أفادت الأدب العربي أيما إفادة . ككتاب النقائص لابي عبيدة .

إن كاظمة القريبة منا هي الموضع الذي اختاره الفرزدق محلا لسكنائه — وربما ولد فيها — ففيها نظم أكثر قصائده الخالدة ، وفيها كانت ترده قصائد جرير ، فيها المهجاء الفاحش فيرد الفرزدق عليها بما هو أخش منها ، فخلان يتصاولان والعرب قاطبة تستصيح بسحر بلاغتهما .

كاظمة موطن الفرزدق الأول لا يبارحها إلا في أيام الربيع ، حيث يرتاد العشب في المناطق القريبة من كاظمة مثل (الفريده) و (الساده) و (الرحيّة) وهي مواضع تقع في الغرب من الجهرة ، وهي قرية من السكوت وداخل حدودها .

فبنوا تميم وهم قوم الفرزدق يقطنون المنطقة التي يحدها من الشمال كاظمة ومن الجنوب (انطاع) ومن الغرب الدو (الدبة) ومن الشرق العدان . وكانت مجاشع وهي غخذ من التميم ، وعلى الأخص بنو دارم وهم قوم الفرزدق ، يقطنون المنطقة الواقعة بين كاظمة والبرقان .

وكان الفرزدق بالذات يسكن كاظمة وما جاورها ، ومن

يدري لعله نزل في يوم من الأيام على أحد المياه الواقعة في منطقة مدينة الكويت بالذات كابي (دواره) أو (الدمنة) أو (الرأس) وأنا أعتقد أن هذه المياه لم تكن مجهولة لدى العرب القدماء ، وربما عرفوا عنها أكثر مما نعرفه نحن اليوم .

وقد غزت شيان وهي من أشهر القبائل العربية ، بنو تميم على ماء كاظمة تريد الاستيلاء عليه فhezهم بنو تميم ، وصدوهم عنه وفي هذه الواقعة يقول الفرزدق مفتخرًا :

لقد رجعت شيان وهي أذلة
خزايا ففاضت في الوثاق وفي الأزل
وكان لها ماء الكواظم غرة
وحرب تميم ذات خبل من الخبل
فما رحم حتى لقيتم حما —كم
وأب مولوكم فراراً من القتل

والفرزدق في الحجاز حين يذهب للاستنجاع — وهو مكرم في كل بلد يحل فيه أما شهرته وعلو كعبه في الشعر ، وأما خوفا من شطحات لسانه — يرى نفسه غريباً عن أول أرض مس جلده تراها ، فتراه يتحرق شوقاً إلى كاظمة موطنه المحبب إلى نفسه ، فلا تسليه عنه نعم الحجاز ولا ما يقدمه له ولاته من انعام وإكرام فيقول :

تحن بزوراء المدينة ناقتي
حنين عجول تبغى البورانم
فياليت زوراء المدينة أصبحت
بأعفار فالج أو بسيف الكواظم

وقد كان جرير وهو عدو الفرزدق الألد ، يعير الفرزدق بسكناها كاظمة فيقول :

فإن وكيعاً حين خارت مجاشع
كفي شعب صدع الفتنة المتفام
لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً
وريش الذنابي تابع للعوادم

ندافع عنكم كل يوم عظيمة
وأنت قراحي بسيف الكواظم
فرد الفرزدق عليه بقصيدة غراء جاء فيها :

وما علم الأقوام مثل أسيرنا

أسير ولا أجدائنا بالكواظم

ويعنى الفرزدق بقوله ولا أجدائنا بالكواظم قبر أبيه
غالب بن صعصعة ، وغالب من أجداد العرب . وله قصص
تكاد تكون جنونية في الكرم ، وقبره الذي يسميه الفرزدق
في « امقره » الموضع القريب من الكويت والذي يقع بين
الجهراء والكويت وسيأتي بحث ذلك .

وكانت المساجلات الشعرية التي تقام في كاظمة والتي
ينشد كبار الشعراء فيها قصائدهم المشهورة كثيرة ، سجل لنا
التاريخ منها شيئاً وأهمل أشياء . فكان من أبطال هذه
المساجلات ذو الرمة والحطيئة وغيرهم وإليك بعض ذلك .

قال أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني في كتابه جزء ١٦
صفحة ٢٢ . قال الضحاك الفقيمي بينما أنا بكاطمة وذو الرمة
ينشد قصيدته التي يقول فيها

أحين أعادت بي تميم نساءها

وجردت تجريد الجاني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك

وعمرو وشالت من ورأى بنو اسد

ومن آل يربوع زهاء كأنه

دجى الليل محمود النكاية والورد

وحكنا إذا الجبار صعر خده

ضربناه فوق الأثنين على الكرد

إذا راكبان تدليا في نعف كاظمة ، متقنعان فوقها

فلما وقف ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال يا عبيد

اضمئها إليك « وعبيد هذا راوية الفرزدق » فقال

ذو الرمة نشدتك الله يا أبا فراس . فقال الفرزدق دع ذاكك

فجعلها الفرزدق في إحدى قصائده وتخلى عنها ذو الرمة .

وهذه الأبيات الأربعة جعلها الفرزدق ضمن قصيدة له

هجا فيها جندل وعم قيساً ومطلعا .

أتوعدني قيس ودون وعيدها

ثراء تميم والعوادي من الأسند

وجهة نظر

سألني أحدهم بالأمس قائلاً .

لقد جمعت بعض المال خلال هذه السنوات الماضية ،
ولي قلدة كبد تسير على هذه الأرض ، وغايتي في الحياة هي
ضمان مستقبل هذا الصبي .

فإني له أتعب ، ومن أجله أكاد وأشقى .

فهل تشير على بشراء بيوتات هنا ، أو فدادين من الأرض
هناك ، أو أسهم وسندات من هنا وهناك ؟

فأجبت . إن بذل بعض هذه الدراهم في ميدان تعليم
صبيك . لهو خير وأبقى ألف مرة من أن تترك له أوراق
هذه البيوتات ، أو تلك الفدادين !

ففي هذه الثانية تكون الدراهم قد بذلت في شيء ثابت
دائم . فهي باقية مابقي على قيد الحياة .

أما الأخريات ففانيات حتماً إن أسرف في يوم ما ، وأسلم
نفسه لقيادها .

وسيدكرك والمجتمع إن قمت بالثانية ، وسينساك الجميع
إن حاولت الأولى .

وفي الحياة شواهد وعبر ، لمن يتعظ ويعتبر .

فاحتر ماتشاً . فأنت الباذل المستشير .

سأهدى لعاوي قيس عيلان إذ عوى

لشقوته احدي الدواهي التي اهدى

إلى أن قال تمهيداً لأبيات ذو الرمة الأربعة

شدخت رؤوس النابحين وحطمت

جماجمهم مرداة قوم بها أردى

أحين أعادت بي تميم نساءها

الح الأبيات الأربعة

وبعد فإن يعتز القارئ الكويتي بمواطنه الفحل

— الفرزدق — فسيرى في بحوث قادمة أن موطنه كان له

شأن كبير في التاريخ ، وعلى أرضه تجلت صفات كثيرة

هامة فيها الممتع من الحوادث والغريب من الوقائع التاريخية

المعروفة لم تذكر فيها الكويت لحداثتها .

الكويت أحمد البشمر